



## حرصًا على الازدهار الاقتصادي والاستفادة منهم

## "العثمانية" استقطبت

## يهود الأندلس وأبعدت المسلمين

إلى عاصمتهم الجديدة بورصة دخل عدد من أتباع الديانات المختلفة، ومنها اليهودية التي باتت ضمــن الأديان التي رعاها العثمانيون؛ إذ ســمحوا لهم بإقامة معبدهم، وحين نقلت العاصمة من بورصة إلى أدرنة ازداد عدد اليهود في حدود الدولة. ومما يبدو أن اليهــود كانوا على تواؤمٍ مع

بعد أن توسعت حدود العثمانيين وتمددت

العثمانيين، إذ إن أعــدادًا كبيرةً منهم هاجرت إلى مناطق النفوذ العثماني مـن المناطق المحيطة القريبــة من حدودهم، وازدادت هـــذه العلاقة قوةً بعد أن فَتحت القسـطنطينية فصار اليهود جزءًا مهمًّا من تاريخ الدولة العثمانية، فصار توافد اليهـود غيـر مقصور مـن المناطـق المحيطة بالعثمانيين بل جاؤوا من بلدان بعيدة للعيش تحت ظل العثمانيين.

بالتقرب للبلاط العثماني.

صلاحيات ومناصب عالية.

تجاوزوا عن اليهود جرائمهم وعاقبوا المسلمين بالظن والقمع.

فيها الأندلس من حكم المسلمين نهائيًّا وانتقلت إلى الإسبان، وجاءت الموجة الثانية من المهاجرين اليهود من أرض الأندلس سـنة (1496م) من البرتغال، إذ عاني اليهود ما عاناه المسلمون من اضطهادٍ وتعرضِ لمحاكم التفتيش والحرق. ومما يُلحظ هنا أن اليهود الذين توافدوا على حدود الدولة العثمانية بعد ســقوط الأندلس لم

وأبرز الهجرات اليهودية إلى الدولة العثمانية كانت سـنة (1492م)، وهي السـنة التي سقطت

يأتوا فقط من جراء الاضطهاد الإســباني، بل تشــجع يهود الدول الأوروبية الآخرون للهجرة إلى الدولة العثمانية بعد أن رأوا ذلك الترحيب العثماني باليهود من دون فرض قيود أو شروط تذكر.

ومما يلفت الانتباه أن الســلطان بايزيد الثاني الذي قابل وفود المسلمين الأندلسيين بقلبِ بارد وعدم مبالاة، هو نفســه الذي كلف (كمال رئيس) سنة (1492م) بقيادة أسطول عثماني مخصص لإنقاذ اليهود من الفناء في الأندلس، وقد أشير تجاوزًا أن الإنقاذ لليهود والمسلمين، بينما استفاد من هذا الأســطول المنقّذ اليهود وحدهم، ولم يُذكر أن حاول هذا الأسطول الوصول إلى الشواطئ محاربًا لإنقاذ المسلمين، إذ لم يكن دوره سوى النقل والترحيل.

المبنية على المصلحة في أوروبا مع العثمانيين لا يمكن أن تؤيد مسالة محاربة أسطول العثمانيين للإســبان، بل الأكيد أنه كان بعلم الإســبان، ونقل من خلاله اليهود والمســلمين الفارين من العذاب والتطهير والتنصير. حرص العثمانيون على اليهود أكثر من حرصهم على المســلمين، إذ زجوا مســلمي الأندلس

الفارين في المغرب العربي لإعادة تدويــر جهودهم في تثبيت الحكم العثماني في الأندلس بعيدًا عن

والرواية العثمانية تصور هذا الأسـطول على أنه أسـطولٌ محاربٌ، بينما أنه بحسب العلاقة

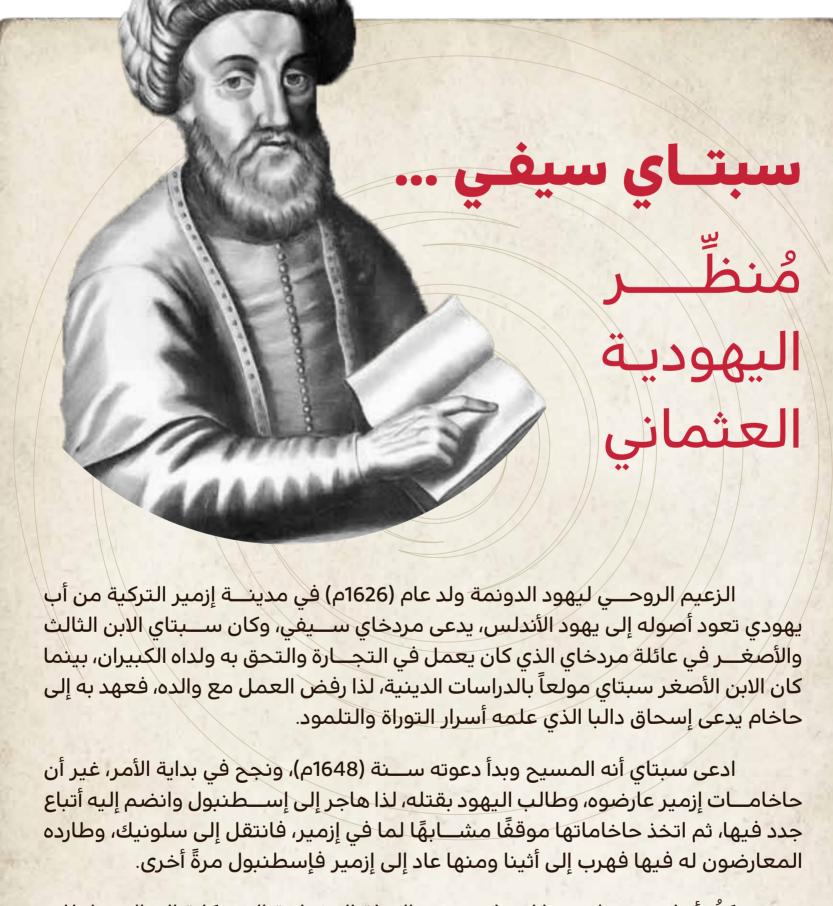
حلم العودة للوطن والأرض الأندلسية، بينما استأثر العثمانيون باليهود في أراضيهم: سالونيك وأدرنة وإزميـر؛ لأنهم أهل تجارةٍ واقتصاد ومعرفة وعلوم، فكانت اسـتفادتهم بالقرب منهم أكبر بكثير من الاستفادة من بكاءات المسلمين الفارين، الذين لم يكن همهم سوى الانتقام والعودة إلى أرضهم. وفي الوقت الذي زج به العثمانيون مسلمي الأندلس في حروب وتصفيات وحسابات سياسية؛ كانــوا قد منحوا اليهود في المقابل الامتيازات والمناصب العليا، الأمر الذي اســتثار ضغينة النصاري المماثلين لهم بالقرب من العثمانيين من الروم والأرمن؛ لأنهم دخلوا في تنافس شـرس مع اليهود

بل إن العثمانيين كانوا أكثر تسامحًا وتناغمًا مع اليهود، ففي الوقت الذي كانوا يتغاضون فيه عن تجاوزاتهم وأخطائهم؛ كانوا يمارسـون أقسـي أنواع الظلم والجور والتشـفي مع المسلمين من العرب وغيرهم، ومما يؤكد ذلك تغاضيهم عن الحركة التي قام بها سبتاي سيفي اليهودي سنة (1648 م)، الذي ادعى أنه المســيح، وأعلن نبوته من فلسطين، واحتوته الدولة بعد أن أعلن إسلامه ثم ارتد ثم أعلن إســـلامه مرةً أخرى، وفي الوقت نفسه أسس ليهود الدونمة (بمعنى العائدين)، ومن حركته صار من ضمن مسلمي الأتراك ممن ينتمون لطائفة الدونمة اليهود بأسماء إسلامية وهوية إسلامية، ومن خلالها كانوا يمارسون كل أنشـطتهم وسيطرتهم على العثمانيين مقابل ما كانوا يمنحونهم إياه من

يحققون لهم مصالح مختلفة، بينما أهملوا المسلمين الأندلسيين ومن استقبلوهم وظفوهم في خدمة مصالحهم الاســتعمارية في المغــرب العربي، ما يعني أن الحســابات العثمانية كانت تُغَلِّب مصلحة الدولة على الدين وكل ما يتعارض معها مهما كانت أبعاده العقدية أو الدينية.

العثمانيـة، وبالمقارنة بين موقـف العثمانيين تجاه الأندلس؛ نجد أنهم قامـوا باحتواء اليهود لأنهم

وجميع يهود الدونمة فـي الدولة العثمانية هم مـن يهود الأندلس الذيـن احتوتهم الدولة



كثُر أتباع سـبتاي مما اضطـر يهود الدولة العثمانية الشـكاية إلى السـلطان، ونصحوه بأن يتخذ موقفًا تجاهه باعتبار أنه يسـعي إلى التمرد على السلطان، وحين مثل

أمام السلطان أنكر التمرد، وأعلن إسلامه عملاً بنصيحة السلطان، وقام بتوصية أتباعه أن

يدخلوا الدين الاسلامي ظاهرياً، ومنه كانت بداية يهود الدونمة في الدولة العثمانية. وممـا يميز يهود الدونمة أنهـم يتحدثون التركية والإسـبانية معًا، حيث إنهم يتفاهمون مع الأتراك بلغتهم وفيما بينهم يتحدثون الإسبانية، لذا استطاعوا بتنظيماتهم أن يتعمقوا في المجتمع التركي، وتزوجوا من المسلمات بينما كانوا يرفضون تزويج بناتهم لغير اليهود عدا حالات خاصة يكون لهـم فيها منفعة مثل زواج الكاتب المعروف

كما أن السلطان سليمان الثاني تزوج من الدونمة وهي زوجته نوربانو والدة السلطان مراد الثالث، التي مكنت من فتح المجال لليهود للتغلغل في القصر السلطاني.

زكريا مارتل من فتاة تنتمي إلى الدونمة تدعى صابحة مارتل.





2) جعفر حســن، فرقة الدونمة بين اليهودية والإسلام ، ط3 (بيروت: مؤسسة الفجر ، .(1988

3) أحمد النعيمي ، الأقلية اليهودية والدولة العثمانية (بغداد: دار الشــؤون الثقافية، .(1990

4) إبراهيـم العلاف، "دور الماسـونية في الحيـاة الاجتماعية والسياسـية التركية المعاصــرة"، مجلــة دراســات اجتماعية ، بيــت الحكمة ، بغــداد ، العــددان (3،4)، .(2000-1999)